

الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس

د / سعد عبد الله البشري*

* حصل على البكالوريوس من قسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز عام ١٣٩٨ هـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى . وحصل على الدكتوراه من القسم نفسه عام ١٤٠٦ هـ بتقدير ممتاز .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد :

فقد حظيت الحروب الصليبية التي شنها الاوروبيون على المشرق الاسلامي باهتمام وعناية الدارسين والباحثين فأولوها جهودا واسعة ، وتناولوا حملاتها وما تمخض عنها من نتائج بدراسات وأبحاث لا يمكن حصرها ، غير أن الحروب الصليبية التي قادها الأوروبيون ضد مسلمي الأندلس مساندة منهم للقوات الأسبانية النصرانية ، لم تحظ بمثل أو ما يقارب تلك العناية التي وجهت لدراسة الحروب الصليبية في المشرق على الرغم من أن الدارس أو الباحث الذي يتطرق للصراع العسكري بين المسلمين والأسبان النصراني قد يشير إلى تلك المشاركات الأوروبية الصليبية في ثوبا دراسته أو بحثه ، إلا أن محاولة التركيز على دور الأوروبيين لا زال بحاجة ماسة إلى دراسة دقيقة وفاحصة وهذا البحث المتواضع يساهم في إلقاء بعض الأضواء على الدور الذي اضطلع به الفرنسيون في تعزيز الجبهة الأسبانية النصرانية عن طريق امدادها بالحملة العسكرية وما رافق ذلك من عتاد ومؤن وذلك على امتداد تاريخ الوجود الاسلامي في الأندلس وكون الفرنسيين شاركوا مشاركة فعالة - وخاصة منذ مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي - في الحد من اتساع نفوذ القوى الاسلامية الجديدة في الساحة الأندلسية ، والمتمثلة في دولة المرابطين والموحدين ، وكان من الطبيعي ان يتبع ذلك تنامي قوة الممالك الأسبانية النصرانية ، وتحقيق غاياتها واهدافها في التوسع على حساب المسلمين ، فكان للفرنسيين دور هام في سقوط عدد كبير من قواعد الاسلام في الأندلس كطليطلة وسرقسطة ، وظل الدعم الفرنسي متواصلا ولكن بصورة أقل مما كانت عليه ، وخاصة منذ أن تبين رجحان كفة القوى النصرانية على القوى الاسلامية بعد وقعة العقاب المشثومة سنة ٦٠٩ هـ .

وأخيرا أرجو أن أكون قد أسهمت ولو بقدر محدود في كشف القناع عن أهمية الدعم الفرنسي للحروب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس ، وأن تلك المشاركة الأوروبية الصليبية كانت عاملا من عدة عوامل أدت إلى اضعاف الجبهة الاسلامية في الأندلس ، وبالتالي سقوط الاندلس في براثن القوى الصليبية المتحالفة . والله الأمر من قبل ومن بعد .

أسهم الفرنسيون اسهاما واسعا في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس ، وقدموا للجبهة الأسبانية النصرانية على امتداد تاريخ المسلمين في الأندلس نجدات ومعونات كبيرة ومستمرة لم تنقطع وخاصة منذ سقوط طليطلة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م .

ويمكن للمؤرخ المستقضي لهذا الدور الجسيم الذي اضطلع به الفرنسيون أن يعتبر حملة امبراطور الفرنجة شارلمان - والتي قادها لغزو الأندلس ١٦١هـ / ٧٧٧م على عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل - فاتحة المدد الفرنسي الصليبي الذي تدفق تياره بعد ذلك وحقق نتائج حاسمة لصالح القوى والممالك النصرانية والأسبانية .

وعلى الرغم من انكسار جيش شارلمان وعودته خائبا إلى بلاده إلا أن تلك الهزيمة التي لحقت به وكما يقول فيشر (اسبغت عليه من ساطع المجد ما لم تستطعه الانتصارات الكثيرة بفضل الخيال القصصي الذي اضفى على حملته الحربية في وادي الابروشمال مدينة برشلونه هالة من هالات الحروب الصليبية)^(١) .

ولكن لماذا جنى شارلمان من هزيمته هذا المجد والفخار ؟ ان السبب في ذلك يعود الى طبيعة الصراع بين القوتين النصرانية والاسلامية ، وما كان يعتمل في نفس شارلمان من مطامح ومطامع في تحقيق غاياته السياسية والدينية ، فعلى الرغم من اعترافنا بانه كانت له مصالح سياسية وعسكرية من وراء الحملة إلا أنه كانت له أيضا دوافع وغايات دينية . فتشير الروايات الاوروبية إلى أن شارلمان قد عرض مشروع حملته العسكرية على البابا هادريان ، وأن البابا قد أيده تماما في مسعاه الهادف إلى القضاء على الاسلام ، الذي ساد أسبانيا ، ووعده باقامة الصلوات . لكي يعود ظافرا غانما^(٢) .

(١) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ق ١ ، ص ٩٥ .

(٢) محمد محمد مرسى : دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس ، ص ١٤٥ وانظر الباز

العربي : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، ج ٨ ، ١٩٥٩م ص ١٤٤ .

ويبدو أن شارلمان قاد حملته على الاندلس وهو يتمثل في مخيلته انتصارات جده شارل مارتل الذي نجح في وقف الزحف الاسلامي الذي كاد أن يقتحم باريس ، فشارلمان بالتالي يطمع في تحقيق حلمه بالقضاء على الوجود الاسلامي في اسبانيا التي كانت قبل حوالي سبعين سنة فقط ارضا نصرانية يمجّد فيها الصليب ، وتقرع فيها النواقيس وأجراس الكنائس .

ومما يؤكد ما أشرنا اليه أن رينهارت مؤرخ شارلمان يذكر أن الحملة التي نظّمها شارلمان كان القصد منها مهاجمة قرطبة ، ويبدو من ضخامة الجيش أن الهدف لم يكن متعلقا فقط بالاستيلاء على المدن التي وعد سليمان الاعرابي بتسليمها ، وأن شارلمان كان يهدف إلى السيطرة على اسبانيا كلها أو على الأقل على نصفها الشمالي^(١) .

ويضاف إلى ذلك أنه كان هناك عدد من أساقفة طليطلة في هذه الفترة على اتصال مستمر بنصارى أوروبا وكانوا يكتبونهم ويثيرون شعورهم الديني ضد المسلمين^(٢) .

ومن هنا نستشف بدايات وبواكير المشاركة الصليبية التي قدمها الاوربيون وخاصة الفرنسيين إلى القوى الاسبانية النصرانية ، وان الحروب الصليبية كانت أبكر مما يتصوره البعض ، وانها شهدت ميلادها وفجر نشاطها في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي . أي في فجر التاريخ الاسلامي في الاندلس .

هذا وقد بلغ من مكانة شارلمان الصليبية وما أسهم به من جهود في نشر النصرانية ، وتوسيع رقعتها ، ومقارعة خصومها ، أن سرت شائعات في العصور المتأخرة تنسب اليه قيامه بحملة صليبية إلى المشرق لاعادة السيطرة النصرانية على بلاد الشام^(٣) .

(١) محمد عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، ص ٧٥ .

(٢) الباز العربي : بعض معالم عهد شارلمان ، ص ١٤٤ .

(٣) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ١٨ .

وعلى الرغم من الفشل الذريع الذي مُني به جيش شارلمان إلا أن الفرنجة عاودوا هجومهم على شمال الأندلس . ولسنا في حاجة إلى تفصيل ما حدث من صراع بين المسلمين والفرنجة إلا بالقدر الذي يخدم غاية البحث ، وهو كشف القناع عن الدور الصليبي الذي قام به الفرنسيون لمساندة الممالك النصرانية في حروبها مع مسلمي الأندلس .

وتجدر الإشارة الى ما تم من تقارب بين شارلمان والبشكنس من جهة ، والفونسو الثاني ملك جليقية بعد أن تمكن المسلمون من احراز انتصارات كبيرة في شمال الأندلس ، على عهد الامير عبد الرحمن ، ثم ابنه هشام ، ثم حفيده الحكم ، وهو ما شجع شارلمان على المضي في مشاريعه العسكرية ضد المسلمين فبعث سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م جيشا بقيادة ابنه لويس للاستيلاء على برشلونه ، ورغم استبسال واليها سعدون الرعيني وأهلها في الدفاع عن المدينة ، الا ان الحصار الطويل تسبب في مجاعة شديدة داخل المدينة ، كما ان الفرنجة نجحوا في فتح ثغرات عديدة في أسوارها فاضطرت المدينة الى التسليم بعد حصار امتد سبعة أشهر^(١) .

ويهمنا من ذلك كله ما تمخض من نتائج خطيرة عن وقوع برشلونه تحت النفوذ الفرنجي ، إذ اصبح للفرنجة قاعدة جديدة جنوب البرنية يهددون من خلالها الوجود الاسلامي في شمال الاندلس ، وقد أسرع الفرنجة بعد احتلال المدينة الى اضعاف طابعهم عليها ، فعينوا عليها اساقفة يتبعون اسقفية ناربون وربطوا نظامها الديري بالتنظيمات الديرية الفرنسية ، غير أنهم رأوا ضمنا لاستمرار سلطانهم عليها ان يختاروا حاكمها من أصل قوطي ، فشعر حكامها بنوع من الاستقلال والحرية في ولايتهم ، وبمرور الزمن وما وقع من احداث واضطرابات في فرنسا من جهة ، وبعد المسافة بين برشلونه وفرنسا من جهة أخرى تحول الثغر الفرنجي إلى إمارة نصرانية ، عرفت فيما بعد بامارة قطلونية ، والتي اندمجت بعد ذلك في مملكة أراغون^(٢) .

(١) محمد محمد مرسى : دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .

(٢) محمد محمد مرسى : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

وقد أسهمت امارة برشلونة بعد ذلك في تدعيم الحروب الصليبية ضد مسلمي الاندلس ، اذ كانت قاعدة هامة من قواعد القوى الصليبية في شمال شرق الاندلس ، ومنها خرجت كثير من الحملات الصليبية لغزو بلاد المسلمين . ذلك أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي سيطرت على برشلونة أسرة آل برنجير وقد حكمها مؤسس هذه الأسرة الكونت رامون برنجير الكبير (٤٢٧-٤٦٩هـ/١٠٣٥-١٠٧٦م) ، وفي عهده اتسعت هذه الامارة فضمت اليها ارقلة وشرطانية ثم ضمت اليها ولاية قرقشونة الفرنجية في الناحية الاخرى من جبال البرينية ، وذلك بشرائها من ابنتي صاحبها الكونت روجر الثالث ، وكان لضمها أثر هام في اعادة الصلة بين الثغر القوطي القديم وجنوبي فرنسا ، اذ كانت الجسر الذي تدفقت من خلاله جموع الصليبيين الفرنسيين الى الاندلس^(١) .

ويذكر بينتر PINTER ان جماعات من المحاربين الفرنسيين قصدت الاندلس منذ اوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، ففي سنة ١٠١٨م قاد روجر التوني أمير النورمان قواته لمحاربة المسلمين الاندلسيين ، وفي سنة ١٠٣٣م هرع امراء برغنديه بقوات كبيرة نحو الاندلس للغاية ذاتها ، وفي سنة ١٠٦٣م قاد جيو جفري دوق اكتانيا حملة عسكرية نحو الاندلس ، وفي سنة ١٠٦٥م قصدها كونت شالون في جماعة من الفرسان ، وفي سنة ١٠٧٣م زحف إبل كونت روسي بقواته لتحقيق ما أنجزه اسلافه ، ثم شهدت ١٠٨٥م وفود حملات كبيرة بقيادة عدد من امراء برغنديه وبرفقة ريموند كونت تولوز^(٢) .

غير أن اهم حملة صليبية تركت صدى واسعا في تاريخ الاسلام في الاندلس إبان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هي الحملة الصليبية التي غزت مدينة بربشتر الواقعة شمال شرق سرقسطة وذلك عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م . ويبدو ان هدف الحملة كان لدعم القوى النصرانية في أراغون ونافار ، لاسيما بعد الاحداث التي تمخضت عن موقعة جرادوس Grados ٤٥٥هـ/١٠٦٣م التي وقعت بين ملك أراغون راميرو الاول والمسلمين بقيادة

(١) محمد عنان : دول الطوائف ص ٤٠٧

(٢) Sidney Pinter; A History of the middle ages p, 193.

المقتدر بن هود ملك سرقسطة ، والتي سقط فيها راميرو قتيلا ، مما أحق البابا اسكندر الثاني فدعا الى تجهيز حملة صليبية فرنسية ضد المسلمين في شمال الاندلس^(١) .

وتجدر الإشارة إلى اختلاف المصادر الأوروبية حول أسم قائد الحملة الذي تسميه الرواية العربية البيطين فالبعض يرى أنه ابلس دي روسي ، والبعض يرى أنه الكونت بلدوين دي فلاندرس ، الذي كان وصيا على فيليب الأول ملك فرنسا ، وان قواد الفرق التي عملت تحت إمرته هم :

١ - جيوم دي مونري حامل شعار البابوية الذي أرسله البابا على رأس فرقة من الفرسان الايطاليين .

٢ - سانشو راميرو ملك أراغون الذي خلف والده القتل في معركة جرادوس .

٣ - الكونت اورخيل ابن اخي ملك اراغون وقائد الجيوش القطلانية .

٤ - البارون روبرت كرسين قائد جيوش جنوب فرنسا .

٥ - جي جوفروا قائد جيوش بواتيه وبوردو^(٢) .

ويؤكد دوزي DOZY ان المقصود باسم البيطين هو جيوم دي مونري معتمدا في ذلك على ما أورده ابن حيان في المقتبس ، حيث ذكر أنه قائد خيل روما ، وهو الوصف الذي ينطبق على جيوم دي مونري النورماندي ، فقد كان قائدا لفرسان البابا اسكندر الثاني ١٠٦١ م - ١٠٧٣ م^(٣) .

بيد أن احمد مختار العبادي يشير الى ان بلدوين دي فلاندرس كان قد اشتهر في الحروب الصليبية في المشرق باسم بغدوين فمن المحتمل ان نفس هذا الاسم قد عرفه الاندلسيون في المغرب الاسلامي وحرفوه إلى بيطين^(٤) .

(١) ستيفن رنسان : الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٢) انظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) Spanish Islam, p, 637.

وانظر أيضا : Jan read; The moors in Spain and Portugal, pp, 103-104 Scott;

History of the moorish empire in Europe; vol 11. pp, 155-156.

(٤) انظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس : ص ٧١ الحاشية .

غير أن الباحث يميل إلى القول بأن المقصود به هو جيوم دي مون تري وهو القائد الذي ينطبق عليه وصف ابن حيان من أنه قائد خيل روما ، وكان ابن حيان معاصرا لواقعة بربرشت ويبدو أنه نقل هذه المعلومة من شهود عيان شاهدوا مأساة المدينة أو استردادها بعد ذلك^(١) .

ومهما يكن الاختلاف حول اسم قائد الحملة الصليبية ، فقد كانت هذه الحملة مشكلة في معظمها من الفرنسيين والنورمان بلغ تعدادها عشرة آلاف ، وفي رواية أخرى أربعين ألف مقاتل ، وقد حشدت هذه القوات في ولاية نورمانديا الفرنسية ، وكان النورمان قد استقروا بها بموافقة ملك فرنسا شارل الأبله ، ومما يؤكد الطابع الصليبي للحملة ان البابا اسكندر الثاني قد شجع على قيامها ووعد ببذل الغفران لكل من يشترك فيها . وقد نزلت الحملة في قطالونيا ، ثم قصدت مملكة سرقسطة ، وكان يحكمها آنذاك المقتدر بن هود ثم سارت الى وشقة ، التي استعصت على الغزاة لحصانتها فقصد الصليبيون مدينة بربرشت الواقعة على فرع صغير من فروع نهر أبرو بين مدينتي لارده ووشقة الى الشمال الشرقي من سرقسطة^(٢) .

ولم يفت المؤرخين المسلمين الطابع الصليبي للحملة ، فقد فطن الحميري الى جنس الغزاة وانهم من الفرنسيين والنورمان فهو يقول (وبربرشت من امهات مدن الثغر الفاتكة الحصانة والامتناع وقد غزاها على غرة من قلة عدد من اهلها وعدة أهل غاليش والروذمانون^(٣)) ويعني بغاليش فرنسا والروذمانين النورمان الذين استوطن بعضهم فرنسا كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

ويمدنا المؤرخ الاندلسي الكبير ابن حيان بوصف مؤثر لعملية الحصار ، ثم ما تلى ذلك من اقتحام للمدينة ، ويصف بدقة الفظائع التي ارتكبتها الصليبيون مع اهالي المدينة وكان هؤلاء قد فقدوا في بداية الحصار اثناء قتالهم مع حامية المدينة

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
(٢) محمد عنان : دول الطوائف ص ٢٧٤-٢٧٥ وانظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ص ٣٦٠-٣٦١ وكذلك :
(٣) الروض المطار ، ص ٩٠ .

Setton, K.M; A History of the Crusades, the University of Wisconsin Press, 1969, vol 1, p 38 .

خمسائة فارس ، ثم نجحوا في اقتحام المدينة الخارجية غير ان الخطر حل بالمدينة ، عندما اكتشف الغزاة بواسطة بعض الخونة قناة مائية تحت الارض تصل بين النهر والمدينة ، يعتمد عليها السكان في شربهم فاسقط الصليبيون فيها صخرة كبيرة سدتها ، فانقطع الماء عن اهل المدينة ، وكانت تلك نكبة جسيمة لهم ، يقول ابن حيان في وصفه للحال التي آل اليها المحصورون (بلغني أنه كانت المرأة تطلع من فوق سور المدينة فتنادي من يدنو اليها من الكفرة عن جرعة ماء لنفسها او لطفلها فيقول لها : هاتي ما معك . القى الي ما يرضيني أسقك فتلقي اليه ما عندها من كسوة او حلية او مال ، وتدلي نحوه ما حضرها من قربة او آنية في رشاء فتغيث به نفسها او طفلها ، وعرف الطاغية قائد الحملة ذلك فنهى رجاله عنه وقال اصبروا وقتا ويؤخذون جملة ...)^(١) .

ويبدو ان الوضع ازداد سوءاً وكرباً ، حتى اضطر اهالي المدينة الى طلب الامان مقابل تسليم المدينة ، وان يخرجوا عنها بانفسهم دون اموالهم فوافق الغزاة ، وخرج أهل المدينة في حشد كبير أخاف قائد الغزاة ، وخشي أن تدركهم الحمية فيقاتلوه ، فامر بقتل قسم كبير منهم ليخفف من اعدادهم الكبيرة ، فسقط منهم ستة آلاف قتيل ، وكان قد مات كثير من أهالي المدينة أثناء ازدحامهم على الأبواب سراعاً إلى ارواء ظمئهم ، وأكثرهم من النساء والأطفال وكبار السن ، ثم أمر القائد الصليبي ان يعود ما تبقى منهم الى دورهم ، حيث اقتسم الغزاة دور المدينة فيما بينهم فكان كل جندي من الغزاة يأخذ الدار بما فيها من أنفس وأموال ، وارتكب الصليبيون أثناء ذلك من هتك الأعراض ، وارتكاب الفواحش ما تأنفه النفوس ، وكان كل هذا يجري امام أعين ذوي الضحايا غلوا في التعذيب وتشفيا من المسلمين^(٢) . ومن بين ما ارتكبه من صنوف الوحشية أن كثيرا من الصليبيين سعوا في سبيل الحصول على ما ظنوا أنه مخبأ من المال والكنوز ، الى قطع اعضاء ضحاياهم اربا اربا ، واحراق اطرافهم بالنار ، وقذف

(١) ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٨٢-١٨٣ فيما نقله عن ابن حيان .

(٢) ابن بسام ، نفس المصدر والقسم والجزء ص ١٨٤ وما بعدها

بعضهم في الزيت المغلي ، كما أن النساء لم يسلمن من الاغتصاب أمام أنظار أزواجهن وإخوانهن^(١) .

وكان قد التجأ إلى قصبة المدينة نحو سبعمائة رجل من حامية المدينة ، غير أنهم لم يسلموا من المصير المهلك ، فقد استسلموا وخرجوا وقد تغيرت وجوههم والوانهم من العطش والجوع حتى زهد الغزاة في أسرهم فأخلوا لهم الطريق فخرجوا يريدون مدينة منشون وهي أقرب مدن الاسلام اليهم ، غير أنه لقيتهم سرية من خيل النصارى لم يشهدوا اقتحام المدينة ، ولا علموا بحال هؤلاء المسرحين فبادوهم عن بكرة أبيهم إلا من كتبت له النجاة ففر بجلده^(٢) .

ومن المؤلم فوق ذلك ما تسهب في ذكره بعض المصادر الاسلامية عن المقادير الهائلة من الغنائم والسبي التي نالها الصليبيون بعد هذه النكبة الفادحة لمسلمي بربرشتر ، فيذكر ابن حيان ان نصيب القائد الصليبي كان الفا وخمسمائة جارية كلهن أبكار ، ومن الحلي والكسوة والوطاء خمسمائة حمل ، وانه لما عزم على العودة الى بلاده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثنيات ذوات الجمال وآلاف من الغلمان وحملهم معه ليهديهم لمن فوقه من ملوك وأمراء أوروبا^(٣) ، ويذكر ابن عذاري نقلا عن البكري أن الصليبيين اختاروا من أبكار سبي المدينة ، وأهل الحسن من نسائها سبعة آلاف جارية اهدوهم إلى صاحب القسطنطينية^(٤) .

وبهذا يتبين لنا ماأسفرت عنه هذه الحملة الصليبية من مأساة عميقة ونكبة مروعة لاتوصف ، حتى قيل أن ضحاياها بلغوا أربعين ألفا ، ورغم أن ماذكر من أعداد القتلى والأسرى والسبايا قد يكون مبالغا فيه ، إلا أن ماوقع من الوان القتل والتنكيل والإجرام الذي ارتكبه الصليبيون لاتضاهيه أي وحشية سوى ماارتكبه اخوانهم من الصليبيين في المشرق لدى اقتحامهم بيت المقدس .

(١) Scott; op. cit, vol 11 p, 136.

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ج٣ ص ١٨٥ .

(٣) ابن بسام : المصدر السابق ج٣ ص ١٨٢ وما بعدها .

(٤) البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٣ وانظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٠ .

ولعل من الغريب أن نذكر أن البابا اسكندر الثاني الذي بارك هذه الحملة الوحشية ، كان قد كتب إلى أساقفة أسبانيا أثناء توجه الحملة المذكورة إليها ، يذكرهم ما بين المسلمين واليهود من اختلاف تام اذ اعتبر المسلمين هم الد أعداء النصرانية^(١) .

وعلى أية حال فقد هزت هذه المصيبة العظمى نفوس المسلمين ولفتت انظارهم الى اهمية التكاتف ووحدة الصف ، فسارع ابن هود ملك سرقسطة بمساندة المعتمد ملك اشبيلية وقرطبة ، وغيرهما من ملوك الطوائف من المسلمين الى تجهيز حملة عسكرية لاسترجاع المدينة المنكوبة ، والانتقام ممن اقام بها من الصليبيين ، وكان هؤلاء قد تركوا بها نحو ألف وخمسمائة فارس ، والفين من الرجالة ، واستوطنها عدد كبير من النصارى ، وقد نجح المسلمون في اقتحام المدينة سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، وقتلوا من الصليبيين الفا وخمسمائة مقاتل وسبوا جميع من كان بها من نسائهم واولادهم ، وتقدر بعض الروايات عدد السبي الذي غنمه المقتدر بن هود ملك سرقسطة بخمسة آلاف سبية^(٢) .

وتجدر الاشارة الى ما قام به الرهبان الكولونيون - (نسبة الى دير كلوني الذي أسسه وليم التقي دوق اكوتين في حوض الرون الاعلى سنة ٩١٠م) - وذلك بصورة مبكرة ابان القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي من تشجيع وحث لنبلأ فرنسا على تنظيم حملات عسكرية ضد مسلمي الاندلس ، الى جانب ما كانوا يسعون إليه من نشر نظامهم الديني في أسبانيا^(٣) . وسوف نرى أن الرهبان والأساقفة قد اسهموا اسهاما واسعا في اثارة الروح الصليبية وتدعيمها من خلال اشتراكهم انفسهم في الحملات العسكرية ، وكيف أدى بهم الحال الى تكوين جماعات دينية محاربة كان لها أثر كبير في تاريخ الحرب بين المسلمين والنصارى .

(١) رنسان : الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٠٩ .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ق ٣ ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ - وانظر مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ٧٦ - الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٨ .

(٣) Sidny Pinter; op. cit. p, 193

وفي أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حدثت تغيرات حاسمة في موازين القوى بين المسلمين والنصارى اذ انه في الوقت الذي سقطت فيه الخلافة الاموية سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م أخذت القوى النصرانية في الشمال في النمو والتعاظم حيث تمكن سانشو (شانجه) ملك نافار (بلاد البشكنس) من توسيع نفوذه وبسطه على كافة المناطق المسيحية في شمال اسبانيا ، وبعد وفاته ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م قسمت مملكته بين ابنائه الاربعة وكان احدهم ويدعى فرناندو أقوى اخوته وأوسعهم ملكاً^(١) وليس هنا مجال التوسع فيما دار بين هؤلاء الاخوة من حروب اهلية أدت الى تمكين نفوذ فرناندو وظهوره كأقوى زعيم نصراني .

ويمكن القول ان فرناندو الاول بن سانشو (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) الذي كان يحكم قشتالة وليون وجليقية واشتوريش ، كان يمثل في سيرته وسياسته تجاه مسلمي الاندلس رمزا صليبيا واضحا ، وبداية جلية للتوسع المسيحي ، فقد نجح في فرض أتاوة سنوية على عدد من ملوك الطوائف المسلمين ، وطلب من ملك اشبيلية المعتمد بن عباد ان يسمح له بنقل رفات القديسة جوستا ، وكانت هذه القديسة قد قتلت على أيام الامبراطور دقلديانوس ، ورغم ان رسله لم يعثروا على رفاتها ، الا ان احدهم زعم أنه عثر على رفات القديس اسيدور فحمل من اشبيلية الى ليون ، حيث دفن في احتفال كبير في الكنيسة التي سميت بعد ذلك باسم كنيسة القديس اسيدور وذلك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٥م ، والى جانب ذلك كان فرناندو حريصا على زيارة قبر القديس ياقب قبل اعتزامه مهاجمة قلمرية التي استولى عليها بعد حصار طويل سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م^(٢) .

مثل هذا السلوك الديني والطقوس الصليبية التي مارسها هذا الملك تنبئ عن تطور الاحوال التي بلغها ملوك الاسبان النصارى ، واعتزامهم على تأصيل

(١) انظر بالتفصيل عن تلك الأحداث ، محمد عنان : دول الطوائف ص ٣٧٦ وما بعدها - عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ - سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٥٤٣ .

(٢) رينهارت دوزي : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلاني ص ١٧٢ - ١٧٣ - محمد عنان : دول الطوائف ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

وتكريس الروح الصليبية في نفوسهم ونفوس شعبهم في كفاحهم ضد مسلمي
الاندلس .

وسيرة فرناندو الخاصة تلقي ضياء كبيرا على ما كان عليه من تعصب ديني
وما كان يعتلج في نفسه من مشاعر الروح الصليبية ، فقد كان يمضي وقتا طويلا في
مجالسة الرهبان في دير ساهاجون ، ويواظب على اداء الصلاة في كنيسة ليون ، الى
جانب علاقاته الوثيقة مع البابا اسكندر الثاني^(١) .

ومن السهولة ان نستنتج من خلال حياته الصليبية الواضحة ، ان جيوشه
ضمت كثيرا من الجماعات الصليبية الوافدة على اسبانيا ، فان البابا اسكندر الثاني
الذي كانت تربطه بفرناندو علاقات وثيقة ، كان هو وراء الحملة الصليبية التي
هاجمت بربرشتر سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م . والبابا المذكور أيضا كان من أحرص
الباباوات على تشجيع الصليبيين الفرنسيين على الانخراط في سلك الحروب
الصليبية ضد مسلمي الاندلس .

ولعل ما يؤكد ما ذهبنا اليه ان الفونسو السادس ملك قشتالة وهو ابن
فرناندو المذكور نجح بمساندة الصليبيين الفرنسيين في الاستيلاء على طليطلة
سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م^(٢) ومن ابرز القادة الفرنسيين اسهاما في مساعدة الفونسو
على تحقيق غايته تلك قريه هيو الاول دوق برجنديا^(٣) وهي احدى الولايات
الواقعة جنوب شرق فرنسا ويتضح الطابع الصليبي الفرنسي فيها تمخض من نتائج
عن سقوط مدينة طليطلة ، اذ اصبحت بها الكنيسة الرئيسية في اسبانيا ، وعين
رئيسا لها الاسقف الفرنسي برنار عميد دير ساهاجون وذلك بتأثير من زوجة الملك
الفونسو السادس الملكة كونستانس ، وهي فرنسية من بورجونيه وقد أبدى ذلك
الاسقف المتعصب حقده الشديد وروحه الصليبية حينها حول جامع طليطلة الى

(١) أشباح : المرجع السابق ص ٢٢ ، وانظر عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ص ٤٦ . دوزي :
ملوك الطوائف ترجمة كامل كيلاني ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) Pinter; op cit, p, 200

(٣) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٤٣٨ نقلا عن :
Flish; L'Europe occidentale, p.p 552-553.

كنيسة رغم ان المسلمين اشترطوا على الملك الفونسو قبل تسليم المدينة ان يبقى جامعهم على حاله^(١) .

وبهذا أحرز النصارى كسبا كبيرا في استيلائهم على طليطلة ، والتي كانت قبل الفتح الاسلامي حاضرة الدولة القوطية وكنيستها كبرى الكنائس القوطية ايضا ، وهم بذلك قد أكدوا على أهمية صبغ حملاتهم وانجازاتهم العسكرية بالطابع الصليبي كحالة استنفار شاملة لطاقتهم في صراعهم مع المسلمين ، ويسقط طليطلة هيمن النصارى على البلاد الواقعة على نهر التاجو . وكان المسلمون يسمونها الثغر الأدنى في حين ان سرقسطة واعمالها كان يطلق عليها الثغر الاعلى ، وبهذا بلغ النصارى وسط الاندلس واضحوا يهددون اطراف الاندلس الاسلامية من الشرق والغرب والشمال ، وسقوط طليطلة يمثل منعطفًا حاسمًا في تاريخ الاسلام في الاندلس فقد نجمت عنه تغييرات سريعة وهامة في محيط ملوك الطوائف ، الذين روعتهم الكارثة ورأوا انهم ليسوا ببعيدين عن مثل هذا المصير الويل ، فرأوا ضرورة العمل على الحد من الخطر النصراني المتوثب ، ويبدو أنهم شعروا بضعفهم امام القوى النصرانية المتنامية ، فولوا وجوههم الى العدو المغربية يستنجدون باخوانهم من المرابطين الذين نجحوا في اقامة دولتهم الظافرة في الزاوية الشمالية الغربية من افريقيا بزعامة سلطانهم يوسف بن تاشفين .

ويبدو ان نجاح الفونسو السادس في الاستيلاء على طليطلة ، قد شجعه على محاولة التهام أجزاء أخرى من البلاد الاسلامية فسارع لحصار سرقسطة ، كما ان الكونت برنجار ريموند صاحب برشلونة طمع في الاستيلاء على طرطوشه فسعى الى حصارها أملًا في احتلالها ،

غير أن دخول المرابطين الى الاندلس أزعج الفونسو السادس ، يقول الحميري (ولما تحقق ابن فردلند - يعني الفونسو السادس - من جواز يوسف استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة وما يليهم ما لا يحصى

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ٤ . ج ١ . ص ١٦٨ - وانظر محمد عنان : دول الطوائف ص ٣٩٧ .

Jan read; The moors in Spain, p, 123

عدده^(١). وكان من الطبيعي نتيجة لذلك ان تدفقت عليه جموع هائلة من المحاربين الصليبيين من جنوب فرنسا ، من لانجدوك وجويانه وبرجونه وبروفانس ، يقودهم عدد من الكونتات والاساقفة وكان من بين الكونتات ريموند بن جيوم كونت برجونيا العليا ، والكونت هنري صاحب برجونه السفلى ، وكلاهما ينتمي الى اسرة آل كابيه ملوك فرنسا ، وكان لهما بعد ذلك نشاط عسكري هام دعما به الجبهة النصرانية في قتالها مع المسلمين^(٢) .

ولسنا في حاجة الى التفصيل في الحديث عن معركة الزلاقة الواقعة شمال شرق بطليوس والتي وقعت بين الفونسو وجيشه وأعوانه من الصليبيين الفرنسيين وبين الجيش الاسلامي بقيادة يوسف بن تاشفين وجيشه من المرابطين واخوانهم من الاندلسيين بقيادة ملوك الطوائف والتي أحرز فيها المسلمون نصرا كبيرا على النصارى الصليبيين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، وأنقذوا بذلك الاندلس من براثن الصليبيين ، فامتد عمر الوجود الاسلامي في الاندلس الى ما شاء الله .

إن هذه الهزيمة الساحقة التي لحقت بالفونسو وجيشه ، جعلته يشعر أنه أمام قوة اسلامية فتية ، قد تحمد نار النصرانية في الاندلس الى الأبد ، فسارع مجددا يستصرخ ملوك وأمراء النصارى خلف جبال البرنيه ، ويثير في نفوسهم الروح الصليبية للوقوف معه امام المتغيرات الطارئة على الساحة الاسلامية ، المتمثلة في دخول المرابطين الى أرض الاندلس ، والذي لن يوقف زحفهم الا مدد صليبي جديد يقف على قدم المساواة مع القوة المرابطية الظافرة .

ومن هذا المنطلق نجد انه إبان الفترة القريبة اللاحقة لمعركة الزلاقة ، قدمت الى معسكر الفونسو السادس جموع كبيرة من الفرنسيين يتقدمهم امير برجونه الدوق اودو - وهو صهر الفونسو وعمته هي الملكة كونستانس زوجة الملك الفونسو - في جيش من الفرنسيين ، وقدم أيضا الكونت دي سان جيل امير

(١) الروض المعطار ، ص ٢٨٩ .

(٢) اشباح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩-٢٥٠ وانظر :

Dozy; Spanish Islam. p, 696 .

تولوز ، الى جانب قوات كبيرة من نورماندي ، وبواتو ، ومن انحاء متفرقة من فرنسا^(١) .

ولم يكن الفونسو السادس لينسى دور حلفائه من الفرنسيين في قتاله مع المسلمين ، ولا ما أسهموا به من جهود كبيرة في اعادة التوازن بين قوى النصرانية والاسلام في الجزيرة الايبيرية ، ولهذا كان يغدق عليهم كثيرا من عطفه ، ويعهد الى بعضهم بتولي الحكم في كثير من المناطق الخاضعة له ، ويسعى الى توثيق عرى الصداقة معهم بشتى صورها ، ومنها ما يذكر انه ضم الى أسرته الكونت ريموند بن جيوم كونت برجونيا العليا ، وقريبه الكونت هنري كونت برجونيا السفلى ، فزوج الأول ابنته أوراكا ، وكان هذا بمثابة مكافأة له على ما قدم من جهد في محاربة المسلمين في البرتغال ، ونجاحه في انتزاع مدينة شنترين منهم سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م ، فعينه حاكما على هذه المدينة ، وجعل حاكمها السابق سواريو منديز تابعا له ، غير ان ريموند لم يظل طويلا على ولايته في البرتغال فقد نُدب لحكم مملكة جليقية ، فخلفه على حكمها ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م قريبه الكونت هنري سالف الذكر ، والذي زوجه الملك الفونسو السادس أيضا ابنته غير الشرعية تيريزا ، وكان يُطلق عليه الدوق بوصفه قائد الجيش ، وكانت المنطقة التي حكمها هنري تقع بين اسفل نهر التاجه ونهر منهو ، وكانت امارة البرتغال آنذاك خاضعة للمملكة قشتالة وتؤدي اليها الجزية ، ونظرا للمكانة الرفيعة التي تمتع بها هنري لدى ملوك قشتاله ، فقد منحوا حكم البرتغال له ولابنائهم من بعده ، وهو بدوره قد نال ثقتهم بما تميز به اثناء ولايته من كفاح ونضال صليبي ضد المرابطين في غرب الأندلس^(٢) .

ويمكن القول أن الكونت ريموند بن جيوم ، والكونت هنري المذكور ، وهما قريبان للمملكة كونستانس كما ذكرنا ، قد أسهما من خلال مكائنتهما السياسية والعسكرية في تدعيم أواصر الصلة بين ملوك اسبانيا وبين امراء وكونتات فرنسا ،

(١) محمد عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣١ - وانظر كتابه الآخر : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ص ٢٩١ .

(٢) أشباح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - وانظر أيضا .

Pinter: op. cit, p 194.

هذا بالإضافة الى الدور الخطير الذي لعبه أسقف طليطلة برنار في إيقاد الروح الصليبية في انحاء فرنسا ، وتدعيم التوجه الصليبي ضد المسلمين في الأندلس . ونجد من خلال دراستنا لمعركة أقليمش الواقعة شرق طليطلة - والتي دارت بين جيش الفونسو بقيادة ابنه شانجه ، وبين المرابطين بقيادة تميم بن يوسف بن تاشفين ٥٠١هـ / ١١٠٨م ، وكرر فيها المرابطون انتصارهم العظيم في الزلاقة ، وسقط فيها قتيلا ابن الفونسو - نجد من بين قادة النصارى القائد الفرنسي الكبير رايوند البرجوني زوج اوراكا ابنة الفونسو السادس^(١) .

قام المسلمون من المرابطين بقيادة محمد بن الحاج والي سرقسطة بغزو برشلونة ٥٠٨هـ / ١١١٤م ، وقد حقق ابن الحاج نصرا كبيرا على النصارى ، ثم قفل عائدا الى سرقسطة غير انه أصطدم بقوة كبيرة من النصارى ، حيث دارت بين الطرفين معركة شديدة انهزم على اثرها المسلمون ، واستشهد فيها ابن الحاج ، فتولى على امانة سرقسطة من بعده ابو بكر بن ابراهيم بن تيفلويت ، فسار هذا بقواته لاختذ الثأر من النصارى ، فهاجم برشلونة فخرج للقائه ملكها رامون برنجير الثالث في قوات كبيرة تساندهم قوة صليبية من أربونة فدارت الدائرة على النصارى وسقط كثير من الصليبيين في أرض المعركة^(٢) .

وفي نفس السنة قام الكونت برش على رأس حملة صليبية مكونة من قوات فرنسية وانجليزية لغزو مدينة تطيلة شمال غرب سرقسطة ، حيث نجح في احتلالها بطريق الخدعة فأقطعه اياها ملك أرغون الفونسو المحارب على أن يدفع له جزية سنوية ، ومن ثم وفدت اليها جموع كبيرة من الأسبان والفرنسيين ففقطنوها ، وشجعهم على ذلك الفونسو المحارب الذي منح قوادهم امتيازات كبيرة^(٣) . وفي اوائل ٥٠٩هـ / ١١١٥م تقريبا غزا جيش صليبي من برشلونة جزيرة ميورقه ، وسانده في ذلك محاربون من بروفانس وشاركهم البيزيون بالسفن ، وقد سلك الصليبيون مسلكا وحشيا مع اهالي الجزيرة غير انهم لم ينعموا بحكم

(١) خليل السامرائي : علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس والدول الإسلامية ص ٢١٧ .

(٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢٣٧ .

(٣) أشباح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

الجزيرة ، فقد نجح المرابطون في استردادها وانتقموا من الصليبيين لما ارتكبوه من مجازر وحشية مع المسلمين^(١) .

وتجدر الإشارة الى ان من اعظم ما قدمه الفرنسيون لتدعيم الحرب الصليبية ضد مسلمي الاندلس ، هو قيامهم بمساندة جهود الفونسو المحارب ملك أرغون في مشروعاته الصليبية ، اذ ان جهود الفرنسيين ومعاونتهم له في حروبه مع المسلمين تشكل ظاهرة صليبية واضحة ، لا يمكن ان يغفلها المؤرخ المتبع لتاريخ الحملات الصليبية في الشمال الشرقي من الاندلس ، فكان دور الفرنسيين حاسماً في استيلاء الارغونيين على سرقسطة ، ولكن كيف تم ذلك ؟

كان الاستيلاء على مدينة سرقسطة الواقعة في الشمال الشرقي للاندلس يمثل هدفا صليبيا جذاً للفونسو المحارب في تحقيقه ، وعمل على تنفيذه ، ويبدو انه شعر بالحاجة الى مساندة الاوربيين فبعث برجاله يستصرخهم لمعاونته في انتزاع مدينة سرقسطة من أيدي المسلمين فقدم عليه منهم (أمم كالنمل والجراد)^(٢) . وقيل ان عدد الفرنسيين بلغ خمسين ألف مقاتل^(٣) . وكان للبابويه دور واضح في تكوين هذه الحملة فقد عُقد مجلس كنسي في مدينة تولوز برئاسة البابا غيلاسيوس ٥١٢هـ / ١١١٨م وحضر الاجتماع طائفة كبيرة من المطارنة الفرنسيين والاسبان ، وتمخض الاجتماع عن تنظيم حملة صليبية شجع البابا الفرنسيين على الانضمام اليها ، واصدر صكوك الغفران لمن يشارك فيها من اهالي اقليم الميدي بجنوب فرنسا ، فتكون على اثر ذلك جيش لجب من الصليبيين الفرنسيين يتقدمهم كونت تولوز ، وكونت قرقشونة ، وغاستون الرابع البيرني وكان يحكم مقاطعة تضم اجزاء من جنوب غرب فرنسا ، الى جانب عدد كبير من النبلاء ، ثم سارت الحملة الفرنسية صوب الاندلس ، وانضمت الى جيوش الفونسو المحارب ومن ثم اتجه الجميع الى مدينة سرقسطة حيث ضربوا الحصار عليها^(٤)

(١) أشباخ : المرجع السابق ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن أبي زرع : المصدر السابق ١٦٣ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ص ٣١٧ .

(٤) عادل بشتاوي : الأندلسيون. المواركة ، ص ٣٧ - ٣٨ .

ويذكر ابن أبي زرع ان الصليبيين صنعوا ابراجا من الخشب تجري على بكرات زحفوا بها الى الاسوار لمهاجمتها ، كما انهم نصبوا لضرب المدينة عشرين منجنيقا تقذف الصخور والنار^(١) .

وكان من أبرز القادة الفرنسيين اسهاما في عملية الحصار غاستون البيرني سالف الذكر ، وكان قد شارك في الحملة الصليبية الاولى في المشرق وأسهم في عملية حصار بيت المقدس ، واكتسب خلال ذلك مهارات وخبرات عسكرية أفاد منها في حصار مدينة سرقسطة ، ومثله ايضا غليوم السادس حاكم مونبيلييه ، وكان هو الآخر قد شارك في الحملة الصليبية الاولى في المشرق ، فظهرها خلال حصار سرقسطة جهدا ونشاطا كبيرين ، وكان من جراء ذلك الحصار الفعال الذي استمر سبعة أشهر أن سقطت المدينة في رمضان سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م^(٢) .

وكان لجهود الفرنسيين وما بذلوه من نشاط في سبيل احتلال المدينة اثره الكبير على الفونسو المحارب ، فاثابهم على ذلك وكافأ قوادهم بمنحهم اقطاعات في سرقسطة ، ومنح غاستون البيرني حي سرقسطة ، وكان يقطنه قبل ذلك النصارى المعاهدون ، وأسبغ عليه لقب « سيد سرقسطة »^(٣) .

يتبين لنا من خلال ذلك تطور الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الاندلس من دور المساندة الى دور الهجوم الفعال ، ويلاحظ ايضا اتساع المشاركة الصليبية لعدد من القادة الفرنسيين ليس في الاندلس فقط ، وانما في المشرق ايضا ، وان هؤلاء قد اسهموا بجهود مؤثرة في الحملة الصليبية الاولى التي نجحت في الاستيلاء على بيت المقدس ، وهو الامر الذي يؤكد دور فرنسا كراعية للحروب الصليبية ضد المسلمين في المشرق والمغرب ، فكما انها قدمت المساندة الصليبية للاستيلاء على البقاع المقدسة في بلاد الشام ، فهي ايضا تضطلع بدور رئيسي في مساندة الاسبان النصارى ضد مسلمي الاندلس .

(١) ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٢) عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) اشباخ : المرجع السابق ج ١ ، ص ١٥٢ .

وتجدر الإشارة الى ان غاستون البيرني الملقب بسيد سرقسطة تشجع بعد ذلك على مواصلة دوره الصليبي في محاربة المسلمين ، فكان هو ومن معه من الصليبيين الفرنسيين سنداً قوياً للأرغونيين ، وقد لقي مصرغه في احدى المواقع التي دارت بين الارغويين والمسلمين سنة ٥٢٤هـ ، وقد هلك المرابطون لمصرعه فحملوا رأسه الى غرناطة ، ورفع على سن رمح وطيف به في الاسواق ، وفي ذلك انشد احد الشعراء مادحا سلطان المرابطين علي بن يوسف ومشيرا الى مصرع غاستون الذي حرقه الى غشتون فقال :

بسعدك شبت في الاعادي لظي الحرب

فجاءك ما تهوى من الشرق والغرب

فخيلك قد القت بايلان بركها

وامضت على غشتون بالطعن والضرب

وجاءك منها رأس غشتون مخبرا

على جسد للرمح كفا على (١)

ومهما يكن فان الملك الفونسو المحارب بعد ان نجح في الاستيلاء على سرقسطة ، رأى ضرورة متابعة حروبه الصليبية ضد المسلمين في الشمال الشرقي من الاندلس ، وكان يرى ان من اهم ما يجب عليه انجازه مد اطراف مملكته الى ساحل البحر الابيض المتوسط ، وان يؤمن لرعاياه سلامة الملاحة في نهر ابرو ، فعزم على الاستيلاء على ثغر طرطوشه ، الواقع على مصب النهر من ايدي المسلمين ، وذلك بمهاجمته من البر والبحر ، وكان على الأرغونيين وحلفائهم من الفرنسيين ان يستولوا قبل ذلك على عدد من المدن الداخلية ، ومنها مدينة مكناسة ، ونجحوا في ذلك ، ثم زحفوا الى افراغه ، ويذكر ابن الاثير ان المرابطين هبوا لنجدة المدينة فسار اليها من قرطبة الزبير بن عمرو اللمتوني في الف فارس ، كما أسرع لنجدةها يحيى بن غانية أمير مرسية وبلنسية في خمسمائة فارس ، وشارك في نجدة افراغه صاحب لارده عبد الله بن عياض في مائتي فارس ، وكان ابن غانية وابن عياض أول من وصل الى افراغه ، ويبدو ان الفونسو المحارب

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج٤ ، ص٨١ ، والفراغ في اخر البيت الثالث في المصدر .

احتقر عدد القوات المنجدة فبعث لقتالها قسما كبيرا من جيشه ، غير ان المسلمين استبسلا في قتالهم فهُزم النصارى ، وسقط منهم في ارض المعركة عدد كبير . ولما علم الفونسو بما دار على جيشه أسرع لقتال المسلمين فانتهاز أهالي المدينة الفرصة فخرجوا من المدينة وشاركوا في القتال ، وفي نفس الوقت وصل الزبير بقواته وانضم للمسلمين فدارت الدائرة على الفونسو وجيشه من الأرغونيين والصليبيين الفرنسيين ، وكان من نتيجة ذلك أن مات الفونسو مفجوعا بعدها بعشرين يوما^(١) .

وتذكر الروايات الاوروبية ان الفونسو المحارب عزم على افتتاح المدينة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م ، وصمم على ذلك وأثر ان يطبع حملته ضد المسلمين بطابع صليبي ، فامر ان يؤق برفات القديسين الى المعسكر ، وان يتولى قيادة الصفوف الاساقفة والرهبان اسوة بالكونتات ، وتذكر ان المسلمين انهزموا اولاً ، وان اهالي المدينة آثروا الاستسلام بشروط يسيرة ، غير ان الفونسو أصر على افتتاحها عنوة ، وان المرابطين جنحوا الى الخدعة ، فنصبوا كمينا للصليبيين اذ أغروهم بملاحقة قافلة من المؤن حتى اذا هاجموا إنقض عليهم المسلمون من كائنا فوقعوا بهم ، وسقط في أرض المعركة كثير من الأرغونيين إلى جانب عدد كبير من الفرنسيين في مقدمتهم أساقفة روضة ووشقة واورجل^(٢) .

ومع ان ابن الاثير اشار الى ان الفونسو توفي متأثرا بما وقع له من هزيمة مروعة ، الا ان المؤرخ الالماني اشباخ يذكر ان معظم الروايات النصرانية تتفق على ان الفونسو قتل في المعركة في ١٧ يوليو ١١٣٤م ، ولكن جثته لم توجد بين القتلى على الرغم مما بذل من جهود في سبيل البحث عنها^(٣) . ونتيجة للغموض الذي لف مصير الفونسو المحارب فقد شبه SCOTT نهايته بنهاية آخر ملك قوطي ، وهو لذريق الذي هزم امام المسلمين بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ / ٧١٠م^(٤) .

(١) الكامل في التاريخ : ج ٨ ، ص ٣٥١ وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ٩٣ .

(٢) أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ١ ص ١٧٣ - وانظر أيضا :

Scott; History of the Moorish, vol. 11,p, 269

Jan read; the Moors in Spain, p. 151

(٣) أشباخ : المرجع السابق ج ١ ص ١٧٣ .

(٤) SCOTT: OP. CIT, p, 151 .

ومهما يكن فان من الواضح ان الفرنسيين قد اسهموا في هذه المعركة وفي غيرها من المعارك التي خاضها الملك الارغوني الفونسو المحارب ، وكان الفرنسيون بحق عضدا قويا لمملكة ارغون ، وسقط كثير منهم في ساحات الوغى تدفعهم إلى ذلك روحهم الصليبية إلى جانب المغنم والمكاسب الدنيوية ، التي نالها كثير منهم في ظل مملكة أرغون .

ولم تنقطع اطماع ارغون من الاستيلاء على البلاد والمدن الاسلامية المجاورة لها بمساندة الفرنسيين وغيرهم من الصليبيين فعقب وفاة الفونسو المحارب خلفه على الحكم اخوه راميرو الراهب ، الذي لم يستطع تصريف شئون الدولة ، فتنازل عن العرش لصهره كونت برشلونه واصبح رامون برنجير الرابع حاكما لبرشلونه وارغون ٥٣٠هـ/١١٣٧م ، وكان صليبيا يتلهف الى القضاء على الاسلام في الاندلس فاشترك مع القيصر ملك قشتاله في الاستيلاء على مدينة المرية سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، وشاركتها اساطيل من جنوة وبيزة الايطاليتين ، واسهم معهم في الحرب من فرنسا جيوم حاكم مونيبلية ، وبعد نجاح القوات الصليبية في الاستيلاء على المرية ، توجه الكونت رامون للاستيلاء على طرطوشه ، وساعده في ذلك ايضا الجنويون والبيزيون وجيوم صاحب مونيبلية ، وقد نجحوا في الاستيلاء على طرطوشه في شعبان ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، ومنح رامون ثلثي المدينة الى الجنويين والبيزيين وصاحب مونيبلية نظير مساعدتهم له ، ولم يكتف رامون بما احرزه من نجاح ، بل غزا مكناسه ولارده وافراغه واحتلها جميعا سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م^(١) .

وبهذا يتبين لنا مدى الجهد الواسع ، والنشاط الصليبي الكبير ، الذي قدمه الفرنسيون للقوى النصرانية سواء في ظل مملكة قشتاله ، او مملكة ارغون ، وهذه المساهمة الهائلة دفعت المؤرخين ومن بينهم بواسوناد BOISSONADE الى القول ان الحملات الصليبية الفرنسية التي دخلت الاندلس كانت اهم اسباب وقف تقدم المرابطين في الشمال خلال نصف القرن الذي اعقب معركة الزلاقة^(٢) .

(١) يوسف اشباخ : المرجع السابق ج ١ ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

هشام ابو رميله : علاقات الموحدين بالملك النصرانية والدول الاسلامية ص ٣٢١-٣٢٢ وانظر :

سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٥٤٨ .

(٢) عادل بشتاوي : المرجع السابق ص ٣٧ .

وبعد نجاح الموحدين في الاستيلاء على الاندلس ، وأقول نجم المرابطين عنها لم ينقطع المدد الفرنسي عن الممالك النصرانية ، التي ظلت تعمل على محاربة المسلمين من غير كلل ولا ملل ، رغم انشغالها في بعض الفترات بتزاعاتها فيما بينها الا انها لا تلبث ان تتحد في مواجهة المسلمين ، والعمل على احتلال مناطقهم وقواعدهم شيئا فشيئا .

وفي عام ٥٩١هـ/ ١١٩٤م احرز الموحدون بقيادة خليفتهم يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) نصرا كبيرا على جيوش قشتاله بقيادة ملكها الفونسو الثامن في موقعة الأرك الى الجنوب من طليطلة ، واعقب ذلك هدنة لم تستمر طويلا ، نجح خلالها الملوك الاسبان في ليون وقشتاله ونبره في ازالة الخلافات فيما بينهم ، وذلك سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م ، وهو ما شجع ملك قشتاله الفونسو الثامن على استئناف قتاله ضد الموحدين بعد ان تعهد له ملكا ليون ونبره بامداده بالجند والمؤن ، وعزم بذلك على محو عار الهزيمة التي لحقت في الأرك ، فأخذ في مهاجمة وغزو المناطق الإسلامية في جيان وبياسة واندوجر^(١) .

وعندما علم الخليفة الموحي الناصر بن المنصور (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٨-١٢١٣م) بغزوات النصارى وعييتهم في النواحي الإسلامية ، حشد قواته وجموعا من المتطوعة لمحاربة النصارى ، ونجح في الاستيلاء على حصن سربطره المنيع الواقع شمال شرق قرطبة ، وكان لهذه الخطوة اثر كبير على الجهة النصرانية ، اذ أدت الى اشعال فتيل الحرب الصليبية ، فاسرع الفونسو الثامن الى الاستنجد بملوك أوروبا ودعاهم الى مساندته ومحاربة اعداء الصليب ، فاستجابوا له وقدمت عليه اعداد هائلة من المحاربين الصليبيين ، ويذكر المراكشي أن نداءات الفونسو واستغاثاته بلغت القسطنطينية^(٢) .

وكان على رأس البابويه آنذاك البابا انوسان الثالث ، وهو حبر متعصب للنصرانية ويتقد حماسا للقضاء على الاسلام في الاندلس ، فعمل على ازالة الخلافات بين ملوك اسبانيا وسعى الى استنفار ملوك أوروبا للحرب ضد

(١) اشباخ : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٥٦

(٢) المعجب ، ص ٤٥٤ وانظر كذلك ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٢٣٧ .

المسلمين ، وكان مطران طليطلة رودريك على رأس البعثات التي ارسلها الفونسو الثامن لاستصراخ الصليبيين الأوروبيين^(١) .

ومن الطبيعي ان نجد الفرنسيين في مقدمة المحاربين الصليبيين ، فقدّم منهم الى الاندلس جمع عظيم يتقدمه جيوم اسقف بوردو ، وأسقف نانت ، الى جانب طائفة كبيرة من الأحبار والأساقفة الفرنسيين ، وانضم الى هؤلاء جيش كبير من المشاة من ولايات جويان ولیموج وسانتونج وبري وبواتو وانجو وبريتانيا ، كما قاد ارنولد مطران اربونة جيشا من لانجدوك وبروفانس وبرجونية^(٢) .

وعلى أية حال فلم يأت شهر محرم ٦٠٩هـ/يونيو ١٢١٢م حتى قدّم على اسبانيا اكثر من عشرة آلاف فارس ومائة الف من المشاة ، وأمر البابا انوسان الثالث في روما بالصوم ثلاثة ايام تعاطفا مع الهدف الديني المتوخى من جمع تلك الحشود الصليبية واهيئت الصلاة لاجل ذلك ، وعمد الرهبان والراهبات الى ارتداء السواد والمشي حفاة ، وسارت المواكب الدينية في الطرقات خاشعة متمهلة بين كنيسة وأخرى ، والقى البابا خلال ذلك موعظة دينية طلب فيها من النصارى الدعاء التماسا لنصرة الأسبان والصليبيين على المسلمين^(٣) .

وعلى الرغم مما تذكره الروايات النصرانية من انسحاب خمسين الفا من الصليبيين من المعسكر الاسباني بعد اقتحامهم قلعة رباح ، وأنهم سخطوا على الفونسو ملك قشتاله لانه لم يطلق لهم الحرية في قتل المسلمين الذين خرجوا من القلعة ، وان الفونسو استأثر وحده بغنائمها ، وما زعموا بعدم احتياهم مناخ أسبانيا الحار^(٤) . نقول رغم ذلك فان من تبقى من الصليبيين الأوروبيين كان ما يقارب خمسين الفا ، وقد سبقت الاشارة الى ان عددهم كان مائة الف من المشاة وعشرة آلاف فارس ، وكان من أبرز من بقي من الفرنسيين ارنولد أسقف اربونة ، والكونت تيوبالد بالاسكون .

(١) عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) اشباخ : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٣٥٩ - Pinter ; op, cit.,p, 195.

(٣) محمد عنان : عصر المرابطين والموحدين ق ٢ ص ٢٩٤

(٤) اشباخ : المرجع السابق ٢- ص ٣٦٢-٣٦٣ .

ولسنا بصدد الافاضة فيما تم بين الطرفين اذ أحرز النصارى نصرا كبيرا على الجيش الموحدى فى المعركة التى عرفت عند المسلمين بموقعة العقاب (الى الشمال الشرقى من قرطبة) وفى الرواية النصرانية بموقعة هضاب تولوسا Navas de Tolosa وكانت فى صفر ٦٠٩هـ / يوليو ١٢١٢م .

وتجدر الاشارة الى ان معركة العقاب تمثلت خطورتها بما تمخض عنها من نتائج حاسمة على سعيد الجبهة الاسلامية فى الاندلس ، فقد كانت إيذانا بتقلص سلطان المسلمين فى الاندلس ، واحكام الطوق على دولة الاسلام فيها ، فاخذت المدن والحصون الاسلامية تتساقط فى أيدي النصارى ، فقد نجح ملك قشتاله فرناندو الثالث بعد موقعة العقاب باقل من ربع قرن فى الاستيلاء على قرطبة فى شوال ٦٣٣هـ يونيو ١٢٣٦م ، كما نجح فى الاستيلاء على اشبيلية بعد حصار طويل اذ سقطت فى رمضان ٦٤٧هـ / ١٢٤٨م ، واتخذها فرناندو عاصمة لمملكته ومركزا للمطرانية ، وهكذا أسبغ على فرناندو الثالث لقب القديس من قبل ان تعترف البابوية بذلك ، لما قام به من جهود ضخمة فى الاستيلاء على عدد من كبريات المدن وقواعد الاندلس الاسلامية^(١) .

واذا كان القشتاليون قد نجحوا فى توسيع حدودهم فى وسط وجنوب الأندلس ، فقد انبرى خايمي ملك أرغون فى شرقها الى اعلان الحرب الصليبية ضد مسلمى شرق الأندلس ، ولم يفت البابا جريجورى السابع أن يسانده فى مشاريعه واطماعه ، فاعلن الحرب الصليبية فى أوروبا ودعا الفرنسيين وغيرهم للمشاركة فى الاستيلاء على مدينة بلنسية ، فاجتمع لخايمي جيش كبير ، قدر بستين ألف راجل وعشرة آلاف فارس ، ومن بينهم جماعات فرسان الداوية ، والاستتارية ، وفرسان قلعة رباح ، وجمع كبير من الفرسان وألف من المشاة والفرنسيين يتقدمهم مطران أربونه ، وبعد حصار طويل للمدينة سُلِمت صلحاً فى صفر ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م ، فدخلها خايمي بصحبة زوجته الملكة فيولانتي وأكابر الأحرار والفرسان ومثلى الجماعات الدينية^(٢) .

(١) عادل بشتاوي : المرجع السابق ص ٤٦ .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق ق ٢ ، ص ٤٤٤ - عادل بشتاوي : المرجع السابق ص ٤٦ .

وكان خايمي قد نجح من قبل ذلك في الاستيلاء على جزيرة ميورقة في حملة صليبية ، تتكون من مائة وخمسين سفينة كبيرة ، وعدد كبير من الزوارق الصغيرة وانضم إلى الحملة كثير من الجنويين ، وحشود من فرنسا من ولاية بروفانس ، وكان ذلك سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣١م ، وعلى الرغم مما أبداه المسلمون من بسالة وتضحية إلا أن الجزيرة سقطت في أيدي الغزاة الصليبيين بعد معارك طاحنة^(١) .

وعلى الرغم من أن كفة القوى النصرانية قد رجحت على كفة القوى الاسلامية في جزيرة الأندلس بعد معركة العقاب ، وانه بات من الميسور على الأسبان ان يحققوا نتائج عسكرية باهرة على حساب المسلمين ، ولا أدل على ذلك من أن الوجود الاسلامي في الأندلس قد انكمش حتى انحصر في الزاوية الجنوبية الشرقية من الأندلس فيما عُرف بعد ذلك بمملكة غرناطة ، نقول على الرغم من ذلك إلا أن الفرنسيين لم ينقطعوا عن مساندة الحملات الأسبانية ضد مسلمي الأندلس ، وشاركتهم في ذلك أيضا جموع من الأوروبيين كالألمان والانجليز والسويسريين ، وقد تبع انحسار دولة الاسلام وحصرها في الزاوية الجنوبية الشرقية انتشار تدريجي للنصارى في الجهات الوسطى والجنوبية من الأندلس ، وشارك في هذا المد النصراني بعض أهالي غرب أوروبا ، وبخاصة من فرنسا ، التي نزحت منها أعداد كبيرة لتستوطن أسبانيا^(٢) . .

وأخيرا فلم يبخل الفرنسيون بقواهم وطاقاتهم عن السعي إلى القضاء على مملكة غرناطة ، واسقاط آخر معقل من معاقل الاسلام في الأندلس ، واننا على يقين أن كثيرا من المحاربين الفرنسيين شاركوا في حصار غرناطة ومن ثم الاستيلاء عليها ، ونذكر في هذا الصدد ان محاربا فرنسيا شهد تسليم مدينة غرناطة وكان يقاتل إلى جانب الجيش الاسباني وكتب بعد ذلك عن حوادث حصار غرناطة وتسليمها للنصارى ، وقد نشرت روايته في القرن السادس عشر ضمن مؤلف عنوانه La Mar de Historias أي « بحر التواريخ »^(٣) . ولا يهمننا في هذا الصدد

(١) اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ٢ ص ٤١٨-٤١٩ . وانظر بالتفصيل عن أحداث الحملة الصليبية التي استولت على جزيرة ميورقة عصام سالم : جزر الاندلس المنسية ص ٤١٢ وما بعدها .

(٢) سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٥٢-٥٥٣ .

(٣) محمد عنان : نهاية الاندلس ص ٢٦١-٢٦٢ .

محتوى رواية ذلك المحارب الفرنسي بقدر ما يهمنى الإشارة إلى ما يمثلته وجوده ومشاركته في القتال مع الأسبان وأنه وأمثاله من الفرنسيين ظلوا على دعمهم ومساندتهم للحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس حتى نهاية الحكم الاسلامي في تلك الجزيرة ، وهو الأمر الذي يدلنا دلالة واضحة على تغلغل الروح الصليبية في نفوس الفرنسيين وتعطشهم للقضاء على الوجود الاسلامي في جزيرة الأندلس ، وأن تلك الروح الصليبية لم تضعف أو تهدم على مر العصور والقرون منذ دخول شارلمان شمال الأندلس ١٦١هـ/ ٧٧٧م وحتى سقوط مملكة غرناطة ربيع الأول ٨٩٧/يناير ١٤٩٢م ، بل لا نبالغ اذا أشرنا إلى أن الفرنسيين وحتى العصر الحاضر ابان استعمارهم للجزائر وتونس وسوريا ولبنان، احتفظوا في سلوكهم بنزعتهم الصليبية ، وحنينهم إلى ماضيهم الصليبي ، وان ننس فلا ننسى عبارة الجنرال غورو قائد الجيوش الفرنسية التي احتلت سوريا اذ عندما دخل دمشق وقف على قبر السلطان صلاح الدين رحمه الله ثم قال كلمته المشهورة (ها قد عدنا يا صلاح الدين) .

ثبت المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً : المصادر :

- * ابن الأثير : الكامل في التاريخ . دار الكتاب العربي ، بيروت . ط الثالثة ١٤٠٠هـ .
- * ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت . ط الثالثة ١٩٨٠م .
- * الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس . مؤسسة ناصر للثقافة . بيروت . ط الثانية ١٩٨٠م .
- * ابن ابي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس . دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣م .
- * ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، الأجزاء الثلاثة الأولى ، تحقيق ج . س . كولان ولفي بروفنسال - دار الثقافة . بيروت ، الجزء الرابع تحقيق احسان عباس . ط الاولى ١٩٦٧م .
- * ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس . تحقيق احمد مختار العبادي . معهد الدراسات الاسلامية - مدريد ١٩٧١م .
- * المراكشي : المعجب . صححه وعلق عليه محمد العريان ومحمد العربي دار الكتاب . الدار البيضاء . ط السابعة ١٩٧٨م .
- * مؤلف مجهول : الحلل الموشية في الاخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامه . دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط الاولى ١٣٩٩هـ .
- * مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة ، ترجمة . حسن حبشي . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٥٨م .

ثانياً : المراجع :

- * خليل السامرائي : علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس والدول الاسلامية وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٥م .
- * رينهاردت دوزي : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلاني . مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٣م .
- * ستيفن رنسمان : الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني . بيروت ١٩٨٢م .
- * سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ . مكتبة الانجلو . القاهرة ط . الثانية ١٩٨١م .
- * عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة . دار أسامة للنشر والطباعة . دمشق ط . الثانية ١٩٨٥م .

- * عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، دار القلم . بيروت ، ط الثانية ١٩٨١ م .
- * عصام سالم : جزر الاندلس المنسية . دار العلم للملايين . بيروت . ط الاولى ١٩٨٤ م .
- * فيشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العربي ، دار المعارف . مصر ط الخامسة
- * محمد عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ط . الثانية ١٣٨٩ هـ .
- دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الطوائف . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . ط الثانية ١٣٨٩ هـ .
- دولة الاسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين ، ق ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ط الاولى ١٣٨٤ هـ .
- نهاية الاندلس . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ط الثالثة ١٣٨٦ هـ .
- * محمد محمد مرسى : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الاندلس . مؤسسة الثقافة الجامعية . الاسكندرية ١٤٠٠ هـ .
- هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية دار الفرقان ، عمان ط الاولى ١٩٨٤ م .
- * يوسف اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين . ترجمة محمد عنان . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ج ١ ، ١٩٥٩ ، ج ٢ ط الثانية .

- JAN READ : THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL, LONDON 1974 .
- REINHARDT DOZY : SPANISH ISLAM, TRANSLATED WITH A BIOGRAPHICAL INTRODUCTION AND ADDITIONAL NOTES, BY FRANCIS GRIFFIN, LONDON 1972 .
- SCOTT: HISTORY OF THE MOORISH EMPIRE IN EUROPE, VOL 11 PHILADELPHIA, LONDON 1904.
- SETTON, K. M. : (EDITOR) A HISTORY OF THE CRUSODES, THE UNIVERSITY OF WISCONSIN, PRESS 1969
- SIDNEY PINTER : A HISTORY OF THE MIDLE AGES, LONDON 1976